

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### أهل التقوى وأهل المغفرة

قال الله عز وجل في حديثه القدسي:

﴿ ٨ ﴾ «أَنَا أَهْلٌ أَنْ أُتَّقَى فَمَنْ اتَّقَانِي فَلَمْ يَجْعَلْ مَعِيَ إِلَهًا  
فَأَنَا أَهْلٌ أَنْ أَعْفِرَ لَهُ».

يقول الحق سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ  
وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي  
تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١).

[النساء: ١]

ومعنى قوله سبحانه: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ أى: اجعلوا بينكم وبينه وقاية،  
وأول التقوى أن تؤمن به إلهًا، وتؤمن أنه إله بعقلك.

إنه سبحانه يعرض القضية للناس فيقول ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ ولم يقل:  
اتقوا الله، لأن الله مفهومه العبادة، فالإله معبود له أوامر وله نواه.

والحق سبحانه لم يصل بالناس لهذه بعد، إنما هم لا يزالون فى مرتبة  
الربوبية، والرب هو المتولى تربية الشئ خلقًا من عدم وإمدادًا من عدم،  
لكن أليس من حق المتولى خلق الشئ، وتربيته أن يجعل له قانون صيانة؟

(١) أخرجه أحمد فى مسنده (١٤٢/٣ ، ٢٤٣) وابن ماجه فى سننه (٤٢٩٩) والترمذى فى سننه

(٣٣٢٨) وقال: هذا حديث غريب، وأخرجه ابن أبى عاصم فى السنة (٩٦٩)، ومداره على

سهيل بن أبى حزم القطيعى ضعيف ليس بالقوى، وقد حسن الألبانى الحديث لغيره.

إن من حقه سبحانه أن يضع للمخلوق قانون صيانته، ونحن نرى أن كل مخترع أو صانع يضع لاختراعه أو للشئ الذى صنعه قانون صيانة.

أيخلق الحق سبحانه البشر من عدم، وبعد ذلك يتركهم ليتصرفوا كما يشاءون؟ أم يقول لهم: اعملوا كذا وكذا، ولا تعملوا كذا وكذا، لكي تؤدوا مهمتكم فى الحياة؟

إن رب العزة سبحانه يضع دستور الدعوة للإيمان فيقول:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ . [النساء: ١]

إذن: فالمطلوب منهم أن يتقوا، ومعنى يتقوا أن يقيموا الوقاية لأنفسهم بأن ينفذوا أوامر هذا الرب الإله الذى خلقهم، فأراد سبحانه أن يجذبنا إليه ويأخذنا إلى جنبه بالشئ الذى نؤمن به جميعاً- وهو أنه سبحانه خلقنا- إلى الشئ الذى يريده، وهو أن نتلقى من الله ما يقينا من صفات جلاله.

لقد قدم سبحانه الدليل أولاً على أنه إله قادر، وأنه خلق من عدم وأمدكم وسخر العالم لخدمتكم، وقدم دليل البث (١) فى الكون المنشور الذى يوضح أنه إله، فلا بد أن تتلقوا تعليماته، ويكون معبوداً منكم، أى مطاعاً، والطاعة تتطلب منهجاً: افعل ولا تفعل.

ولذلك يختم الحق سبحانه الآية بقوله:

(١) البث: النشر. يقول تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ

دَابَّةٍ﴾ [الشورى: ٢٩]. أى: نشر فيها كل ما يدب على الأرض.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ . [النساء: ١]

لأن كلمة اتقوا تعنى: اجعل بينك وبين غضب ربك وقاية بإنفاذ أوامر الطاعة، واجتناب ما نهى الله عنه.

والرقيب من رقب إذا نظر ويقال: «مرقب»، ونجد مثل هذا المرقب في المنطقة التي تحتاج إلى حراسة، حيث يوجد كشك مبنى فوق السور ليجلس فيه الحارس كي يراقب، ومكان الحراسة يكون أعلى دائماً من المنطقة المحروسة.

وكلمة «رقيب» تعنى ناظراً عن قصد أن ينظر، ويقولون: فلان يراقب فلاناً أى: ينظره، صحيح أن هناك من يراه ذاهباً وآتياً من غير قصد منهم أن يروه، لكن إن كان مُراقباً، فمعنى ذلك أن هناك مَنْ يرصده.

وسبحانه يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ . [النساء: ١]

فليس الله بصيراً فقط، ولكنه رقيب أيضاً، والله المثل الأعلى.

ولعظم تقوى الله قال الحق سبحانه في موضع آخر من القرآن: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِبَادِكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ۝١٣١﴾ . [النساء: ١٣١]

يبين الحق سبحانه: لقد وصينا الذين أنزلنا إليهم المنهج من قبلكم، ووصيناكم أنتم أهل الأمة الخاتمة أن التزموا المنهج بالأوامر والنواهي، لتجعلوا اختياراتكم خاضعة لمرادات الله منكم حتى تكونوا منسجمين

كالكون الذى تعيشون فيه، ويصبح كل شىء يسير منتظماً فى حياتكم.  
والحق سبحانه لم يقل هذه القضية للمسلمين فقط، لكنها قضية كونية  
عامة جاء بها كل رسول.

ولم يقل: شرعنا للذين أوتوا الكتاب من قبلكم، ولم يقل: فرضنا،  
إنما قال ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا﴾ . [النساء: ١٣١]

وكلمة وصية تشعر المتلقى لها بحب الموصى للموصى.

وتقوى الله تعنى أن نفعل أوامر الله وأن نتجنب نواهيه: لنحكم حركة  
اختياراتنا بمنهج ربنا، فإن حكمنا حركة اختياراتنا بمنهج الله صرنا مع  
الكون كأننا مسخرون لقضايا المصلحة والخير.

فمعنى التقوى هو أن تتقى معضلات الحياة ومشكلاتها، بأن تلتزم بمنهج  
الله، وساعة ترى منهج الله وتطبقه فأنت اتقيت المشكلات.

أما من يُعرض عن تقوى الله سبحانه، فإن الحق يقول عن مصيره:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ .

[طه: ١٢٤]

أى: أن حياته تمتلئ بالهموم والمشاكل؛ لأنه يخالف منهج الله، فالذى  
يجعل الحياة مليئة بالمشاكل هو أننا نأخذ بالقوانين التى نسنها لأنفسنا  
ونعمل بها، ولكن إذا أخذنا تقنين الله لنا فمعنى ذلك أننا نتقى المشاكل.

وإذا لم تنشأ المشاكل مع المخالفات لقال الناس: خالفنا منهج الله  
وفلحنا، لذلك كان لابد أن توجد المشاكل لتنبهنا أن منهج الله يجب أن  
يسيطر.

وحين يتمسك الناس بمنهج الله، فلن تأتى لهم المشاكل بإذن الله،

فالذى يتعب العالم هو الحركة المتعاندة، والحق سبحانه وتعالى أنزل لنا المنهج القويم ليجعل حركة حياتنا متساندة، فإن اتبعنا المنهج صرنا نأخذ الأوامر من إله واحد، وصار كل منا مكلفًا بالتعاون مع غيره.

وهذا لن يحدث إلا إذا استجبنا لما يدعونا الله إليه تشريعًا والرسول بلاغًا وبهذا تتساند الحياة، وتصبح حياة لها طعم، وينطبق عليها قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٩٧)

[النحل: ٩٧]

أى: يعيشون حياة طيبة لا حقد فيها، ولا استغلال، ولا ضغن، ولا حسد، ولا سيطرة، ولا جبروت، فيصبح الناس جميعًا فى أمان. فالحياة الطيبة فى الدنيا وعدم الضلال والشقاء متحققان لمن اتبع منهج الله تعالى.

فلا يقل أحد: إن الدين ثمرته فى الآخرة، بل قولوا: ليست مهمة الدين هى الآخرة فحسب، بل مهمة الدين هى الدنيا أيضًا، والآخرة إنما هى ثواب على النجاح فى هذه المهمة؛ لأن الله إنما يجزى فى الآخرة من أحسن العمل فى الدنيا.

وعلى هذا، فالعقاب على عدم اتباع المنهج الإلهى لا يتأخر إلى يوم القيامة، ولكن الحياة فى الدنيا تكون مرهقة، والمعيشة ضنكًا.

إذن: إياكم أن تفهموا أن المنهج الدينى لله غاية الآخرة فقط، لا بل إن اتباع المنهج الدينى لله جزاؤه فى الآخرة، وأما ثمرته فى الدنيا، فمن

يوفق في هذه الدنيا وحركته متساندة مع غيره، يعطى له الله الجزاء في الحياة المستريحة في الدنيا بالإضافة إلى جزاء الآخرة.

وهكذا نفهم أن موضوع الدين هو لدنيا، أما الآخرة فهي جزاء على هذا الاختبار الدنيوى.

والحق سبحانه وتعالى يقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٢٤) ﴿

[الأنفال: ٢٤]

أى: أن الله يعطيكم منهجاً من إله واحد، لا يعود بالخير عليه ولا على المبلغ عنه وهو الرسول، وإنما يعود بالخير عليكم أنتم، فالخير يأتي من أمر إله واحد، فلا يجعل كل منا إلهه هواه حتى لا تتعدد الأهواء.

والحق سبحانه حينما دعانا إلى الحياة الطيبة سُمى المعيشة في منهجه حياة، لأنها حياة سعيدة، وتسلم إلى حياة خالدة؛ لأن الذى قيّد حركته بمنهج الله يأخذ اطمئناناً في الدنيا ونعيمًا مقيمًا لا يزول ولا ينتهى في الآخرة.

ومثال هذا في دنيانا: الطالب الذى لا يذهب إلى المدرسة ولا يذاكر، ولكن يقضى وقته فى اللعب واللهو، وهو قد أعطى نفسه ما تريد، ولكنه أخذ متعة محدودة، ثم بعد ذلك يعيش فى شقاء بقية عمره.

أما الذى قيّد حركته بالمذاكرة، فقد منع شهوات نفسه فى اللعب واللهو، وتكون الثمرة أنه يحقق لنفسه مستقبلًا مريحًا ومرموقًا بقية عمره.

إذن: فكل من الطالب الذى يجتهد وذلك الذى يلهو ويلعب، كل منهما أخذ لونا من المتعة، ولكن أحدهما أخذ متعة قصيرة جداً، ثم

أصبح من صعاليك الحياة، أما الثانى فقد قيّد نفسه سنوات معدودة ليتمتع بمستقبل ناجح.

كذلك أنت فى الدنيا، إن قيّدت نفسك بالتكاليف «افعل» و «لا تفعل»، فظاهر الأمر أنك قيّدت حريتك، وإن فعلت ذلك برضا فإلله يعطيك راحة واطمئناناً وتمعنة فى النفس.

ولذلك نجد الصلاة، وهى التى يؤديها المسلم خمس مرات فى اليوم على الأقل، هذه الصلاة فى ظاهرها أنها تأخذ بعضاً من الوقت كل يوم، ولكنها تعطى راحة نفسية، كما أنها تعطى اقتناعاً يفوق التصور إن خشع فيها الإنسان وأداها بحققها.

وكان ﷺ يقول: «يا بلال أرحنا بالصلاة»<sup>(١)</sup>، كما قال ﷺ ضمن حديث رواه أنس بن مالك - رضى الله عنه -: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»<sup>(٢)</sup>.

لأن التكليف ينتقل من المتعة إلى الراحة، ويتمتع الإنسان فيها بتجليات ربه وفيوضاته فترتاح نفسه وتهدأ.

وانظر إلى قول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ يَسِّرْهُمْ رِيْضَهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيْهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ (٢١).

[التوبة: ٢١]

(١) أخرجه أحمد فى مسنده (٣٦٤/ ٥) وأبو داود فى سننه (٤٩٨٥)؛ عن رجل من أسلم، قاله أحمد واللفظ له.

(٢) حديث أنس أخرجه أحمد فى مسنده (١٢٨/٣)، ١٩٩، ٢٨٥)، والنسائى فى سننه (٦١/ ٧) والحاكم فى مستدركه (١٦٠/ ٢) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبى، ونعم الحديث: «حبب إلى من الدنيا النساء والطيب...».

تجد البشارة هنا آية من رب خالق، والرب هو امالك والمدير الذى يرتب لك أمورك، وهو سبحانه مأمون عليك.

والرحمة والرضوان من صفات الله، وهى صفات ذات له سبحانه، ومتعلقات العبد فيها أنه سبحانه يهبها لمن يشاء.

ثم يترقى الحق سبحانه مع عباده فى النعيم، فيقول: ﴿يُشْرِهِمُ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١)﴾ . [التوبة: ٢١]

فقد بشرهم الله سبحانه أولاً بالرحمة، ثم بنعمة دائمة فى الحياة، فمن عبد الله ليدخل الجنة أعطاها له فكان مع النعمة، ومن عبده سبحانه - لأنه يستحق أن يُعبد - فيكون مع المنعم، فيرتقى فى الجنة ليرى وجه الله فى كل وقت، وأما الآخرون فيرونه لمحات.

ولذلك يكون الجزاء فى الآخرة على قدر العمق الإيماني للعبد، لذلك يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠) ﴾ .

[الكهف: ١١٠]

وقال أحد الصالحين: «إني لا أشرك بك أحداً حتى الجنة لأن الجنة أحد».

والحق سبحانه يذكر لنا ثواب من يتقونه، فيقول عز وجل:

﴿ قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥) ﴾ .

[آل عمران: ١٥]

وقد جاءت هذه الآية بعد قوله تعالى :

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) ﴾ . [ آل عمران : ١٤ ]

عندما نتمتع النظر في الشهوات التي تقدمت من نساء وبنين وقناطر مقنطرة من ذهب وفضة وخيل مُسوَّمة وأنعام وحرث، ألا يكون من المناسب فيها أن يتقى الإنسان ربه في مجالها؟

إن التقوى لله في هذه الأشياء واجبة، ولذلك قنا من قبل قضية نرد بها على الذين يريدون أن يجعلوا الحياة زهداً وانحساراً عن الحركة، وأن يُوقفوا الحياة على العبادة في أمور الصلاة والصوم، وأن نترك كل شيء.

لهؤلاء نقول: إن حركتك في الحياة تعينك على التقوى؛ لأننا عرفنا أن معنى التقوى هو أن يجعل الإنسان بينه وبين النار حاجباً، أو أن تجعل بينك وبين غضب ربك وقاية، فإذا ما أخذت نعم الله لتصرفها في ضوء منهج الله، فهذا هو حسن استخدام النعم.

وقد أوضحت من قبل أن التقوى حين تأتي مرة في قول الحق: ﴿ وَأَتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [البقرة: ١٨٩] وتأتي مرة أخرى ﴿ وَأَتَّقُوا النَّارَ ﴾ [ آل عمران : ١٣١ ] فهما ملتقيان، فاتقاء النار حتى لا يصاب الإنسان بأذى، وعندما يتقى الإنسان الله فهو يتقى غضب الله، لأن غضب الله يورد العذاب، والعذاب من جنود النار.

إذن: فالذين يتقون الله لا يظنون أنهم زهدوا في هذه الحياة لذات الزهد فيها، ولكن للطمع فيما هو أعلى منها، إنه الطمع في النعيم الأخرى الدائم.

فإياكم أن تغضبوا ربكم فى أى عمل من هذه الأعمال، وكن أيها المسلم فى هذه التقوى على يقين من أنك ملاقى الله، ولا تشك فى هذا اللقاء أبداً، وما دمت ستلقى الله وتكون على يقين أنك تلاقيه لم يبق لك إلا أن تُبشِّرَ بالجنة.

والحق سبحانه يقول:

﴿ أَجَلٌ لَّكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحَرِمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرَمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٩٦) . [ المائدة: ٩٦ ]

إنكم لستم بقادرين على تحمُّل عذاب النار، فالحق له صفات جمال، وهى التى تأتى بما ييسر وينفع كاليسر، والمغفرة والرحمة، وله سبحانه وتعالى صفات القهر مثل: الجبار وشديد العقاب وغيرها من صفات الجلال.

وكل صفة من صفات الحق لها مطلوب، فعندما يذنب الإنسان فالتجلى فى صفات الله يكون لصفات الجلال، ومن جنود صفات الجلال النار.

فإياكم أن تظنوا أنكم انفلتم من الله، فمساحة الحرية الممنوحة لكل إنسان تقع فى المسافة بين قوسين: قوس الميلاد، وقوس الموت، فلا أحد يتحكم فى ميلاده أو وفاته.

إياك إذن أيها الإنسان أن تقع أسير الغرور؛ لأنك مختار فيما بين القوسين، ومحكوم بقهرين، قهر أنه قد خلقك بدءاً، وقهر أنك ستعود إليه سبحانه وتعالى نهاية.

والحق عز وجل يقول هنا فى الحديث القدسى:

«فمن اتقانى فلم يجعل معى إلهاً فأنا أهل أن أغفر له».

وتلك هي قضية الحق الأساسية، فالله سبحانه متفرد بالوحدانية، لا إله غيره، فأصل القضية الإيمانية أن الله سبحانه وتعالى يريد منكم أن تعترفوا بأنه الإله الواحد الذى لا شريك له، وحين تعترف بأنه الإله الواحد الذى لا شريك له، فأنت تدخل حصن الأمان.

ولذلك يقول رسول الله ﷺ فى الحديث الشريف:

«أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاك فيهما إلا دخل الجنة» (١).

وقد قال رسول الله ﷺ لأبى ذر: ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق «ثلاثاً» ثم قال فى الرابعة: «على رغم أنف أبى ذر» (٢).

لقد كان أبو ذر غيوراً على حدود الله، فهل ساعة قال رسول الله: «على رغم أنف أبى ذر»، هل هذه أحزنت أبا ذر؟ لا، لم تحزنه، ولذلك عندما كان يحكيها ويقولها: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن رغم أنف أبى ذر وهو مسرور، لماذا؟

لأنها فتحت باب رحمة الحق، لأنه إذا لم يكن هذا فما الفارق بين من اعتقدها وقالها وبين من لم يقلها؟ لا بد أن يكون لها تمييز، وكل جريمة موجودة فى الإسلام، والحق سبحانه قد جرمها، فهذا يعنى أنها قد تحدث.

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه (٢٧) الإيمان من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخارى فى صحيحه (٥٨٢٧) ومسلم فى صحيحه (٩٤) الإيمان، من

حديث أبى ذر - رضى الله عنه.

يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣٨)

[المائدة: ٣٨]

وهذا يعنى أنه من الجائز أن يسرق المؤمن، وكذلك قد يزنى فى غفلة من الغفلات، وفى أسس الاستغفار يأتى البيان الواضح: من الصلاة للصلاة كفارة ما بينهما، الجمعة للجمعة كفارة، الحج كفارة، الصوم كفارة.

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن ما لم تُغشَ الكبائر» (١).  
أى: أن ربنا قد جعل أبواباً متعددة للمغفرة وللرحمة، وهو سبحانه يقول:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (٤٨) .  
[النساء: ٤٨]

وهذه المسألة ليست لصالحه، إنما لصالحكم أنتم، حتى لا تتعدد آلهة البشر فى البشر، ويرهق الإنسان، ويشقى من كثرة الخضوع لكل من كان قوياً عنه، فأعفاك الله من هذا.

وأوضح لك: لا، اخضع لواحد فقط يكفك كل الخضوع لغيره، واعمل لوجه واحد يكفك كل الأوجه، وفى ذلك راحة للمؤمن.

إن الإيمان إذن يُعلِّمنا العزة والكرامة، وبدلاً من أن تنحنى لكل

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه (٢٣٣) الطهارة، والترمذى فى سننه (٢١٤) وكذا ابن ماجه (١٠٨٦)

من حديث أبى هريرة. قال الترمذى: حديث حسن صحيح.

مخلوق اسجد للذى خلق الكون كله بصفات قدرته وكماله، فلم تنشأ له صفة لم تكن موجودة.

### هل أنتم زدتم له صفة؟

لا، فهو بصفات الكمال أوجدكم، وبصفات الكمال كان قيوماً عليكم، فأنتم لم تضيفوا له شيئاً، فكونك تشهد أن لا إله إلا الله، ما منفعتنا بالنسبة لله؟

إن منفعتنا تكون للعبد فحسب.

والحق سبحانه لا يغفر أن يُشرك به؛ لأنه لو غفر أن يُشرك به لتعدد الشركاء فى الأرض، وحين تعدد الشركاء فى الأرض يكون لكل واحد إله، وإذا صار لكل واحد إله تفسد المسألة، لكن الخضوع لإله واحد نأتمر جميعاً بأوامره يعزنا جميعاً.

لا سيادة لأحد، ولا عبودية لأحد عند أحد، فقله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]. لمصلحتنا.

عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: أتى وحشياً - وهو قاتل حمزة عم النبي ﷺ فى غزوة أحد - على النبي ﷺ فقال: يا محمد أتيتك مستجيراً فأجرنى حتى أسمع كلام الله، فقال رسول الله ﷺ: «قد كنت أحب أن أراك على غير جوار، فأما إذ أتيتنى مستجيراً فأنت فى جوارى حتى تسمع كلام الله». قال: فإنى أشركت بالله وقتلت النفس التى

حرم الله وزنيت، هل يقبل الله منى توبة؟

فصمت رسول الله ﷺ حتى نزلت :

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ السَّلَةِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠) ﴾ .

[الفرقان: ٦٨ - ٧٠]

فتلاها عليه فقال: أرى شرطاً فعى لا أعمل صالحاً، أنا فى جوارك حتى أسمع كلام الله فنزلت:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ .

[النساء: ٤٨]

فدعا به فتلا عليه، فقال: فلعلى ممن لا يشاء، أنا فى جوارك حتى أسمع كلام الله فنزلت:

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) ﴾ .

[الزمر: ٥٣]

فقال: نعم، الآن لا أرى شرطاً، فأسلم<sup>(١)</sup>.

إذن: فالمسألة كلها تطف من الخالق بخلقه واعتبار عمليات الغفلة

(١) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير (١١٤٨٠)، وأورده السيوطى فى أسباب النزول (ص١٤٨)

وعزاه للطبرانى عن ابن عباس بسند فيه ضمف وليس فيه ذكر دخول ومشى فى حوار النبى.

ولعلها رواية أخرى.

عمليات طارئة على البشر، وما دام الحق يقنن تقنينات فمن الجائز أنها تحدث، لكن إذا حدثت معصية من واحد ثم استغفر عنها، إياك أن تأتي بسيرتها عنده مرة أخرى، وتذكره بها.

إياك أن تفعل هذا، فهو قد استغفر من يملك المغفرة، فلا تجعله مذنباً عندك، لأن الذى يملكها انتهت عنده المسألة.

لماذا؟ لكيلا يذل الناس بمعصية فعلت، بل العكس، إن أصحاب المعاصى الذين أسرفوا على أنفسهم يكونون فى نظر بعض الناس هينين مُحَقَّرِينَ.

ولذلك نقول: إن الواحد منهم كلما لذعته التوبة وندم على ما فعل كتبت له حسنة، فعلى رغم أنه ذاق المعصية لكنه مع ذلك تاب عنها، وهذا هو السبب فى أن الله يبدل سيئاتهم حسنات.

وعندما نعلم أن ربنا يبدل سيئاتهم حسنات فليس لنا أن نحقر المسرفين على أنفسهم، بل علينا أن نفرح بأنهم تابوا، ولا نجعل لهم أثراً رجعيًا فى الزلة والمعصية.

أما الشرك بالله واتخاذ إله آخر معه سبحانه فهو قمة الخيانة العظمى، وهو قمة الظلم، وهو ظلم خائب للنفس، والذى يشرك بالله لا يأخذ إلا الخسار.

فالظلم حينما يحقق للظالم نفعاً فهو ظلم هين، ولكن الظلم العظيم هو أن يشرك إنسان بالله ولا يأخذ إلا العقاب الصارم.

فالتقاء الإنسان بربه مشروط أولاً بعقيدة القمة، وهى أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن تشهد أن محمداً رسول الله، ومعناها: لا معبود بحق إلا الله، أو لا أمر لأحد فى خلق الله إلا الله، ولا فعل لأحد من خلق الله

إلا من الله، ولا استمداد لأحد قدرة، وعلمًا وحكمة وقبضًا وبسطًا إلا من الله، تلك هي دائرة الإيمان العقديّة.

فقمة العقيدة التي يحكم فيها القرآن هي: لا إله إلا الله، ومن يفعل عكس ذلك فهو الظالم.

فأعلى درجات الظلم حين يظلم أحد حق الإله الأعلى في أن يكون إلهًا واحدًا، وأن ينقل ذلك لغيره، تلك هي قمة الظلم.

وياليت غير الله كان صاحب دعوة بينه وبين الله تعالى، لا، فليس ذلك المنقول له الألوهية بصاحب دعوة، بل تطوع الظالم من نفسه بذلك، واتخذ من دون الله شريكًا لله، وفي هذا تطوع بالظلم غير مُدَّعٍ.

وهب أن الله تعالى قال: لا إله إلا أنا، فإما أن القضية صحيحة، وإما أنها غير ذلك، فإن افترض أحد - معاذ الله - عدم صحتها، فالإله الثاني كان يجب أن يعلن عن نفسه، ولا يترك غيره يسمع له ويعلن عنه، وإلا كان إلهًا أصمّ غافلاً، ولكن أحدًا لم يعلن ألوهيته غير الله سبحانه، لذلك تثبت الألوهية الواحدة للإله الحق سبحانه تعالى.

وقد بين لنا الحق سبحانه: لا إله إلا أنا، أنا الخالق، أنا الرازق، ولم يصدر عن أحد آخر دعوى بأنه صاحب تلك الأعمال.

إذن: فقد صَحَّتْ الدعوى في أنه لا إله إلا الله.

والله سيظل هو القوي القادر العزيز، لن ينقص إيمانك أو عدم إيمانك من ملكه شيئًا.

فإيمانك بقضية الإيمان الأولى يجعلك تتقى الله سبحانه، وتجعل بينك وبين عذاب الله وعقابه وقاية.

واعلم أن التقوى لا تنشأ من الأفعال المحسنة المدركة فقط، بل تنشأ أيضاً في الأحوال الدخيلة المضمرة، فالحقد والحسد، والمكر، كل هذه صفات سيئة، فإياكم أن تقولوا إن التقوى للمدركات فقط، بل للمحسّات أيضاً، وعمل القلوب له دخل في تقوى الله.

والحق سبحانه يقول:

﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (٣٢) .

[الحج: ٣٢]